

تفسير ابن كثير

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ^{قُلْ} وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ ^ج أَمْ تَنْبِئُونَهُ
بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ^{قُلْ} بَلْ زِينَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ
السَّبِيلِ ^{قُلْ} وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

يقول تعالى : (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي : حفيظ عليهم رقيب على

كل نفس منفوسة ، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ، ولا يخفى عليه خافية ، (وما

تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون

فيه) [يونس : 61] وقال تعالى : (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) [الأنعام : 59]

وقال (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في

كتاب مبين) [هود : 6] وقال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو

مستخف بالليل وسارب بالنهار) [الرعد : 10] وقال (يعلم السر وأخفى) [طه : 7]

وقال (وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير) [الحديد : 4] أفمن هو هكذا

كالأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها

، ولا كشف ضرر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه ،

وهو قوله : (وجعلوا الله شركاء) أي : عبدوها معه ، من أصنام وأنداد وأوثان . (قل

سموهم) أي : أعلمونا بهم ، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا ، فإنهم لا حقيقة لهم؛ ولهذا قال

: (أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض) أي : لا وجود له؛ لأنه لو كان له وجود في الأرض

لعلمها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية . (أم بظاهر من القول) قال مجاهد : بظن من القول

. وقال الضحاك وقتادة : يبطل من القول . أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها

تنفع وتضر ، وسميتوها آلهة ، (إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله

بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) [

النجم : 23] . (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال مجاهد : قولهم ، أي : ما هم عليه من

الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار ، كما قال تعالى : (وقيضنا لهم قرناء فزينوا

لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن

والإنس إنهم كانوا خاسرين) [فصلت : 25] . " وصدوا عن السبيل " : من قرأها بفتح

الصاد ، معناه : أنهم لما زين لهم ما فيه وأنه حق ، دعوا إليه وصدوا الناس عن اتباع

طريق الرسل . ومن قرأها (وصدوا) أي : بما زين لهم من صحة ما هم عليه ، صدوا به
عن سبيل الله; ولهذا قال : (ومن يضل الله فما له من هاد) كما قال (ومن يرد الله
فتنته فلن تملك له من الله شيئا) [المائدة : 41] وقال (إن تحرص على هداهم فإن
الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين) [النحل : 37] .